النهار
الاثنين ٢٠ كانون الاول ١٩٩٩

مواجهة لا هروب منها
حرب المئتي سنة

اذا كان العرب يتصورون ان التاريخ سينصف يوماً مقاومتهم المشروع الصهيوني، فان الجغرافيا هي التي تحول دون الركون الى قدرية لم تساعد حتى الان على الانتظار.

لعقود خلت، وربما من دون انقطاع منذ نكبة ١٩٤٨، شاع بين العرب اعتقاد بان الصراع المتولد من المشروع الصهيوني لن ينحو منحى مختلفاً، في اسوأ الحالات، عما آلت اليه تجربة المشرق العربي مع الحروب الصليبية، فلا بد ان تعود الامة وتنتصر، ولو بعد عشرات السنين، بل قل قرنين او ثلاثاً.

طبعاً لا يمكن الخوض في مثل هذه التشبيهات التاريخية الا بكثير من الحذر، ولا سيما لحظة يتأهب العالم الى ان يدخل بالعولمة العصر الرابع من الثورة الرأسمالية (بعد عصر الرأسمال التجاري والثورة الصناعية فالتوسع الامبريالي). وليس هذا المهم في اي حال. فما يعنينا من التشبيه هو السياق الزمني المديد الذي وضع فيه الصراع مع اسرائيل، من باب التعويض عن خيبات الزمن الراهن فحسب،قبل ان يغدو افقاً يفرض نفسه بنفسه، ودونما حاجة لان يرتجيه احد. فما كنا نستشعره، بمزيج من الحدس والقدرية واليقين القومي، استحال واقعاً اكل لحمنا ودمنا.

والحال انه، بعد مرور قرن بكامله على اطلاق الصهيونية السياسية المنظّمة على يد تيودور هرتزل، وبعد انصرام خمسة عقود على قيام دولة اسرائيل على ركام فلسطين، لم يعد الحديث عن "حرب المئة عام" مجرد عنوان صحافي او شعار نضالي.

وليس في دنو ساعة التسوية السلمية، حتى لو كانت اقرب ما يمكن الى السلام العادل، ما يخفف من وطأة هذا الادراك. فمثلما كنا نحدس، نحن واباءنا، ان مقاومة الحركة الصهيونية لن تظفر في لحظة، كذلك نشعر اليوم، نحن واولادنا، ان ما قد ينتج من التسوية التاريخية قيد الانجاز لن يكون مشهداً ثابتاً، بل على العكس اننا على عتبة عهد جديد من التوترات التي لن تتوقف قبل وقت طويل. ولا فرق هنا بين متحمس للتسوية ومشكك فيها. ولعل الوحيدين الذين يتوهمون الثبات هم من يتوسلون من التسوية ادامة لسلطتهم وسلطانهم. لذا، لن يكون مستغرباً ان يقرأ احفادنا او اولادهم، في عدد خاص من جريدة عربية (الكترونية على الارجح) يصدر في نهاية سنة ٢٠٩٩، مقالاً بعنوان "حرب المئتي عام".

ولكن... اي حرب تلك التي ستجرى في ظل سلام محصن بشتى انواع الضمانات، واصلبها على الاطلاق خلل في التوازنات الدولية لا يبدو قابلاً للتصحيح في الامد المنظور؟ ربما وجب تجنب كلمة "حرب"، ليس اثباتاً لجدية خيار السلام، وهو استراتيجي لا ريب، وانما منعاً لاوهام تستشهد جيلاً

النهار
الاثنين ٢٠ كانون الاول ١٩٩٩

بعد جيل، واستبدال مفهوم تحول دون ترجمته معوقات جيوسياسية وتكنولوجية ونووية بمفهوم "صراع ما بعد الصراع"، وان يكن صراعاً بالمعايشة فحسب.

ولكن... اي صراع ذاك الذي سيستديم في غياب احد المتصارعين؟ أوليس "الصراع" بدوره كلمة فضفاضة، او في غير محلها، عندما يتلهى المتصارعون بالتصارع كل مع نفسه؟ قطعاً لا، اقله في ما يتعلق بالطرف العربي، ولا حاجة للعودة الى التمييز الماوي بين التناقض الرئيس والتناقضات الثانوية لادراك احتمال بقاء جذوة هذا الصراع متقدة وان بقينا مشتتين. فلنا في الاستعارات الصليبية التي نهواها ما يكفي من الدلائل لاستشراف مستقبل للصراع العربي – الصهيوني تتداخل فيه الصراعات الصغيرة فتلونه وتكبح جماحه قبل ان "تستقيم" مجدداً المواجهة، ولو بغير الطرق العسكرية المألوفة. بل لنا في المشهد العربي المعاصر، المنبسط امامنا منذ حرب ١٩٧٣، صورة استباقية لما قد تكون عليه مرحلة ما بعد التسوية، حيث لم تؤد حروب المشرق العربي الاهلية، اللبنانية – اللبنانية، واللبنانية – الفلسطينية والفلسطينية – السورية والسورية – اللبنانية، سوى الى ابطاء للصراع الحربي مع اسرائيل وليس الى وقفه او الغائه.

بالتأكيد، ان مثل هذا التصور يتطلب توافر شرط جوهري، وهو الاقرار بان التضارب العميق في المصالح بين اسرائيل والعرب كان ولا يزال وسيظل ابقى من اي تناقض بين العرب انفسهم، مهما بلغت حدته. وقد يكون في ذلك مجازفة بعد ما اظهرته حرب الخليج الثانية من اقبال عربي على الدخول في تحالفات لم تعد حتى تبدو مخالفة للطبيعة او للتاريخ. الا ان ما يحتمله التاريخ والايديولوجيات التي تدعي استقاء شرعيتها منه تعود وتصححه الجغرافيا وهي اطار كل سياسة. وليس ادلّ على عناد الجغرافيا في مقاومة حيل التاريخ من الرؤية التي تتملك بمصر، دولة وجيشاً ونخباً، حيال اسرائيل، رغم ثبات السلام الرسمي معها.

الجغرافيا، اكثر من التاريخ، هي الاطار الذي يجعل التناقض افقاً للمعايشة بين اسرائيل وعرب المشرق. الجغرافيا الطبيعية اولاً، حيث يتكشف اجماع الدراسات المستقبلية على حتمية تنافس حيوي حول مصادر المياه، وربما ايضا الطاقة. ثم الجغرافيا البشرية، حيث ترسم آليات نمو الكتل البشرية خطوط صدامات لا احتواء لها – في افضل الاحوال الاسرائيلية واسوأ الاحوال العربية – الا من خلال نظام فصل عنصري على نمط "الابارثايد". والجغرافيا الاقتصادية، حيث لا يستخلص من الفوارق النوعية والكمية بين الاقتصاد الاسرائيلي والاقتصادات العربية سوى احتمالين اثنين: توسع اسرائيلي لو تحت ستار التكامل او سعي عربي، قطري او جماعي، الى توازن سيتخذ عاجلاً ام آجلاً طابع الحرب الاقتصادية. والجغرافيا الاستراتيجية اخيراً، حيث لا خروج ممكن في الامد المنظور من حسابات الوزن ولا من التوظيف الدولي، والغربي تحديداً، للوجود الاسرائيلي في المنطقة.

فهذا الذي كان طوال القرن الاول من الصراع مرشح للبقاء، اللهم اذا قامت حكومة عالمية وزالت الحدود في كل انحاء المعمورة. ولا يعدل في ثبات هذين العاملين الاستراتيجيان كون المنطقة مرشحة لتغيرات عديدة، وان طاولت كيانات الدول نفسها. فمثل هذه التغيرات سبق وحصل، في القرن الاول، ولم يخف لحظة التنافر الاسترتيجي.

ساحة للتنافس والهيمنة

النهار
الاثنين ٢٠ كانون الاول ١٩٩٩

فيما تشارف مرحلة طويلة من الصراع، لعلنا نستطيع تسميتها الثالثة، على الانتهاء، ثمة ملاحظة منهجية وسياسية في آن واحد لا بد من الاخذ بها وهي ان لا مقارنة ممكنة بين ما كانت عليه المنطقة عندما طرحت (علينا) مسألة فلسطين وما هي عليه. فرغم الصراع قامت الدول، ورغم الحروب (او من خلالها) قامت سلطات وترسخت حدود. اكثر من ذلك، فان كل الدول التي قامت في بلاد الشام بعد زوال السلطنة العثمانية قد تأثرت في تحديد اتساع اراضيها وترسيم حدودها من جراء قضية فلسطين. فليس فقط اسرائيل هي وليدة هذه المعادلة التي يرمز اليها تعبير "قضية فلسطين" ولا حتى الاردن، وهو الذي اقتطعته من التصور البريطاني لفلسطين الانتدابية "الكتاب الابيض" الاول، لمؤلفه ونستون تشرشل، وزير المستعمرات، عام ١٩٢٢. بل ان لبنان الحديث وسوريا الحديثة نفسيهما لا يستقيم فهم تشكلهما، اقله لناحية تحديد الديار الداخلة فيهما، بمعزل عن قضية فلسطين. فلحظة ولادة قضية فلسطين هي ايضاً لحظة قيام كل الكيانات السياسية في بلاد الشام، وربما في الهلال الخصيب (اي حتى العراق).

ونظراً الى حجم التغييرات، وما ذكرناه ليس سوى جزء منها، لا يعود من معنى للكلام عن "المؤامرة"، اقله بوصفها مؤامرة واحدة وحيدة. فاذا صح ان المشرق العربي كان، اكثر من مرة، موضع فكر "تآمري" غربي، فهو ليس ضحية مؤامرة واحدة لم تتبدل. فما كانت تفيد فيه الحالة الصهيونية في سياق الحرب العالمية الاولى لا يمت بصلة الى ما تؤدي اليه، من ناحية التوظيف الخارجي، الدولة – الترسانة الاسرائيلية. فالحركة الصهيونية/الدولة الاسرائيلية ليست هي هي في مراحلها الثلاث (تشكل "اليشوف" او نواة "الوطن القومي" بعد وعد بلفور، بناء الدولة والصراع مع حركة التحرر الوطني العربية، ادارة الهيمنة الاقليمية بعد استكمال احتلال فلسطين الانتدابية وتجاوز الاحتلال الى ما خارجها، سيناء والجولان فجنوب لبنان). هذا ناهيك بالتعديلات الجذرية الطارئة على الوضع العالمي وتداول القوى العظمى على قيادته. ولعل الثابت الوحيد في كل المراحل هو بقاء المشرق العربي ساحة تقبل عليها القوى المهيمنة في العالم.

وبالعودة الى اللحظة التي اصبح فيها المشروع الصهيوني مشروعاً جدياً في العلاقات الدولية، وهي ما يرمز اليها وعد بلفور، فان محددات هذا التوجه لم تكن تتصل بنيّة استعمارية في تقويض المنطقة العربية بقدر ما كانت تتصل بالمنافسة الاستعمارية على منطقة معتبرة سلفاً مقوضة.

صحيح ان الخلفية التي جرت على اساسها عملية استبطان الفكرة الصهيونية في بريطانيا ومن ثم استغلالها كانت تجد تعبيراً اولياً لها في "الصهيونية البروتستانتية"، وهي التي كانت التوليفة الايديولوجية لرغبة بريطانية في اقامة سد امام مصر محمد علي، عبر "مملكة يهودية" ابان حملة ابراهيم باشا وتهديده الآستانة في الثلاثينات من القرن الماضي. الا ان العودة التدريجية الى هذه الافكار، ابتداء من ١٩١٢، وان تلبست ايضاً بلباس الصهيونية البروتستانتية او، في اقل تقدير، الاستيهام التوراتي للطاقم البريطاني الحاكم قبيل الحرب الكبرى وخلالها، كانت تختصر الورقة الصهيونية الى مجرد أداة استقواء على الحلفاء/المنافسين وليس على اهل المشرق، سواء اعتبرنا ان سبب استصدار وعد بلفور كان من باب اغواء الولايات المتحدة لدخول الحرب او اقناع روسيا بالبقاء فيها (وكلا الغايتين يصب في خانة واحدة هي استعظام وزن ما بدأ يسمّى مذّاك "لوبي يهودي") او كان يهدف الى كسب ورقة جديدة، الى جانب الورقة العربية الهاشمية، في مواجهة فرنسا وفي محاولة (ناجحة) لتجاوز اتفاق سايكس – بيكو، وهي كانت اصلاً تجاوزت اتفاق غراي – كامبون (١٩١٢) الذي اقرت فيه بريطانيا ان لا اطماع لها في الشام. بعد وعد بلفور وارساء

النهار
الاثنين ٢٠ كانون الاول ١٩٩٩

الانتداب، اكتسب على الارجح استمرار الدعم البريطاني ل"الوطن القومي اليهودي" وظيفة اقليمية، وانما وظيفة "سلبية" بمعنى ان اي تراجع عن اللحظة التأسيسية للانتداب البريطاني كانت ستعتبره النخب العربية، ومنها الفلسطينية، المرتبطة بعلاقة حب/كراهية مع الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، دليل تراجع امام الضغوط الشعبية، مما يهدد كامل النظام الاستعماري في المنطقة، بالاضافة الى فتحه المجال امام قوى اكثر جذرية لا يلجمها الالتباس نفسه في العلاقة مع لندن. الا ان هذه النظرة الاسترتايجية لم تكن تبلغ من الاهمية ما يحول دون التخلي عنها اذا اقتضت الظروف. وبالفعل، هذا ما حصل في لحظة احتدام الخطر، عشية الحرب العالمية الثانية، عندما اصدرت بريطانيا "الكتاب الابيض" (الثاني والاشهر) وفيه ليس فقط تراجع عن خطة التقسيم الاولى (مشروع بيل المستلهم من التجربة الايرلندية) وانما ايضاً عن كامل القراءة الانتدابية لوعد بلفور، بل عن وعد بلفور نفسه، اذ ادعى "الكتاب الابيض" انه اسيء فهم ما جاء فيه من ترحيب بريطاني لاقامة "وطن قومي يهودي". بذلك، بات "الوطن القومي اليهودي"، هذه الظاهرة الاستعمارية، على حد ما سيقول فيه وفي الدولة المنبثقة عنه مكسيم رودنسون، على تعارض مع القوة الاستعمارية العظمى في ذلك الزمن، وهو التعارض الذي سيستمر رسمياً حتى حرب ١٩٤٨ فيسمح للاسرائيليين بتسميتها "حرب الاستقلال" وبالعزف على وتر "التحرير الوطني".

مثلما كانت فلسطين مجرد وسيلة او ساحة في الحرب الاولى، كذلك ستكون بعد الحرب الثانية. فالى كونها موضع تنفيس الضمير المعذب الاوروبي، في ما يجوز اعتباره ابشع تطهير لابشع جريمة، استحالت مجالاً للتسابق الاميركي – السوفياتي على عتبة الحرب الباردة، وفي ظل تموج موقف القوى الاستعمارية التقليدية الثانية، اي فرنسا، بين تأييد الطبقة الحاكمة ل"التحرر الوطني" الصهيوني وتحفظات وزارة الخرجية والدوائر المعنية مباشرة بادارة الاستعمار في المغرب العربي. صحيح ان التأييد الاميركي للمخاض الاسرائيلي تزامن مع بداية الحرب الباردة من جهة ودخول الاسطول الاميركي الى جوار منطقة النفط من جهة اخرى. الا ان الدولة الاسرائيلية الناشئة لم تكن في اي حال من الاحوال الورقة الوحيدة في يد الولايات المتحدة التي باتت لاعباً حاضراً في الشرق الاوسط، وبواسطة اكثر من اداة : تعاظم النفوذ الاميركي في السعودية الذي بلغ حد انتقال الوصاية عليها من لندن الى واشنطن، تشجيع الضباط على التحركات الانقلابية بدءاً بانقلاب حسني الزعيم، التهويل من الشيوعية، هذا فضلاً عما كان يؤمنه للهيمنة الاميركية استمرار "العلاقة الخاصة" مع بريطاني، حتى وان تمثل الوجه الآخر للعملة في استدامة السيطرة الاستعمارية الكلاسيكية، من خلال انظمة "الدفاع عن الشرق الاوسط" وما سيليها من احلاف. في هذه المنظومة، لم تكن اسرائيل غائبة، لكنها لم تكن بالتأكيد الحلقة المركزية للمشروع الاستعماري المتجدد.

اذا كان لا بد من استعادة اللقب الذي طالما اطلقه الخطاب العربي على اسرائيل "رأس حربة الامبريالية"، فهي لم تستحقه يوماً مثلما استحقته في الخمسينات. الا انه يتوجب على الفور التوضيح ان التكليف او التوظيف لم يكن من القوة الاعظم وانما من فرنسا المتخبطة في حروبها الاستعمارية، وللحظة وجيزة ولكن مفصلية من فرنسا وبريطانيا مجتمعتين. فكانت حرب السويس، ثمرة عامين من التحالف الفرنسي – الاسرائيلي غير المعلن في مواجهة مصر الناصرية وحركة التحرر الوطني العربية، ونقطة البداية في مسار سيعطي اسرائيل الارجحية التكنولوجية والعسكرية، سواء في القتال الجوي (طائرات "الميراج" وصاروخ "اريحا – ١") او في المجال النووي (مفاعل ديمونا ومعمل البلوتونيوم السري الملازم له والاثنان من صنع فرنسي).

النهار
الاثنين ٢٠ كانون الاول ١٩٩٩

اما العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة، فسيستجوب انتظار ١٩٦٧ لرصد ارتقائها الى مستوى التوظيف الاستراتيجي، والهدف كما في الحلف الفرنسي – الاسرائيلي السابق مصر عبد الناصر. اذ لا مجال للشك ان وراء الاسباب الاقليمية المباشرة، من اطماع اسرائيلية ومزايدة سورية على احد خطوط "الحروب الباردة العربية"، ثمة ارتباطاً وثيقاً بين حرب حزيران والحسابات العالمية للولايات النتحدة : في الحد الادنى حسابات حرب فيتنام الآخذة في التصاعد حتى صارت تقترب من التحول حرباً اميركية – سوفياتية بالوكالة (وهذا كان رأي الجنرال ديغول)، وفي الحد الاقصى ارادة اميركية في دحر النفوذ المصري سواء في افريقيا او في العالم العربي، حيث لم يكف الاستنزاف اليمني في شل دينامية الناصرية وان ساهم في اضعافها كما ستثبته الهزيمة. في اي حال، بات التمويه الاميركي للتحضيرات الحربية الاسرائيلية معروفاً، وقد تمثل في وساطة المبعوث الرئاسي شارلز يوست الذي جاء الى القاهرة حاملاً التطمينات قبل يومين من الهجوم الاسرائيلي.

الا ان العلاقة الاميركية – الاسرائيلية سترتقي مرة جديدة في خضم حدث اقل اهمية من الظاهر. اذ يعتبر اكثر من مؤرخ ان معمودية التحالف الاستراتيجي المتقدم بين الدولتين جاءت ابان احداث الاردن عام ١٩٧٠، عندما حال التهديد الاسرائيلي دون تصعيد سوري كان يمكن ان يفضي الى اسقاط الملكية الهاشمية.

ومنذ ذلك التاريخ، وحتى حرب الخليج الثانية، اصبحت العلاقة الاميركية – الاسرائيلية، المرتقية الى "ابعد من التحالف" حسب تعبير كميل منصور، آليات وظيفية ميدانية جاء تتويجها في اتفاقيتي "الشراكة الاستراتيجية" المعقودتين في عهد الرئيس ريغان وفي استفادة اسرائيل وحدها دون سائر الحلفاء الاخرين من برنامج "حرب النجوم" (ولا سيما لجهة تطوير صاروخ "هتز" المضاد للصواريخ بتمويل اميركي).

بيد ان هذه المرحلة انتهت في اواخر الثمانينات، مع تنامي القوة العراقية (رغم ضرب الطيران الاسرائيلي المفاعل النووي "تموز" عام (١٩٨١) فاجتياح الكويت. فقد اسقطت حرب الخليج الثانية وما تبعها حسابات التوكيل الاميركية كما الادعاء الاسرائيلي بالاضطلاع بدور الوكيل العسكري، على اهمية نظام التمركز المسبق الذي يؤمنه جزئياً التعاون مع اسرائيل للقوات الاميركية.

وفي المقابل، ساهمت حرب الخليج في اظهار نجاح مصر السادات ثم مبارك، ان لم يكن في الحلول مكان اسرائيل، فعلى الاقل في موازنتها في ازاء التصورات الاستراتيجية الاميركية. والمفارقة ان في هذا "النجاح" بداية استعادة لدور مصري مركزي في المنطقة، ولم ان الرعاية الاميركية لمصر لا تلحظ بملء ارادتها مكاناً لدور كهذا.

حسابات الاوزان وثقوب الهوية

في كل هذا المسار، لم تكن الحركة الصهيونية/الدولة الاسرائلية مجرد مفعول به. فحتى لو كان التوظيف الخارجي، في اشكاله المتبدلة، المحرك الاول للحرب والسلم، ظل زعماء الحركة الصهيونية فالدولة الاسرائيلية يتمتعون بهامش كبير للاختيار وسط عالم متعدد القطب، ثم لتلوين خيارات الدولة الراعية، أكانت بريطانيا ام فرنسا ام الولايات المتحدة. ولا بد هنا من التوقف امام الالمعية التي اظهرها الاب المؤسس للدولة الصهيونية ديفيد بن غوريون في استباق التحولات

النهار
الاثنين ٢٠ كانون الاول ١٩٩٩

الدولية واللعب عليها، كما في بناء موقع خاص لاسرائيل يزيد بطراد قدرتها على تثمين دورها في نظر الدولة الراعية او المرشحة للرعاية.

وكان نجاح بن غوريون مزدوجاً اذ اسس لمنطق استراتيجي ما زال يقود خلفاءه، ولاسيما ان تراكم ثمرات التحالفات المتعاقبة انتهى الى اعطاء اسرائيل قوة ذاتية تتيح لها الاستقلال بخياراتها، وان ليس لفترات طويلة.

وعليه، يكون البحث في حساب الاوزان الاقليمية مستقلاً نسبياً عن منطق التوظيف الخارجي لها و/او الاحتواء، مع ان الاوزان المقصودة عائدة الى دول مشبعة تاريخياً وراهناً باسقاطات الخارج. عنينا المثلث الاستراتيجي مصر – اسرائيل – العراق (او ايران ان لم ينجح العراق في العودة الى الحياة الدولية وعلاقتها المؤطرة).

بالقياس على ثوابت تاريخ جيوسياسي عمره الوف السنوات، فان الدخيل على هذه المعادلة هو اسرائيل، اذ لم يحدث الا مرة واحدة، خلال الحروب الصليبية (ايضاً ايضاً)، ان كانت فلسطين مستقراً لقوة اقليمية. حتى بلاد الشام باتساعها، وفلسطين منها، لم تضطلع بهذا الدور الا لفترة وجيزة ابان الحكم الاموي، وهذا في المناسبة ما يجعل المختصين في علم تاريخ الجغرافيا، يحددون سوريا بكونها المنطقة العازلة،وتالياً المتنازع عليها، بين مركزي وادي النيل وما بين النهرين. وفي هذا المعنى، ربما اكثر من غيره، تبقى اسرائيل حالة غير طبيعية، وان تطبعت هي او "طبّعت" جيرانها، وتالياً مصدر توتر.

في صراع الجغرافيا هذا، ليست الاسلحة كلها مادية منظورة قابلة للحسبان، ولا بد ان تستعيد الجغرافيا بعضاً من التاريخ. وهنا لا حساب مضموناً، بل مجرد خطوط اولية يظهّرها القرن المقبل او لا يظهّرها. ولئن كان اليقين العربي يفترض قدرية العدل وحتمية تصحيح هذا الظلم التاريخي الناجم عن اقامة دولة اسرائيل على ركام فلسطين وتغييب شعبها، فان احتمالات "التصحيح" تبقى معرضة للبقاء احتمالات فحسب ما دامت العلل الملازمة لصيرورة العرب في هذا القرن تفعل فعلها في اجسام مجتمعاتهم : غياب المحاسبة في السياسة وضعف المشاركة الشعبية، سيادة الانقسامات العمودية من طائفية وعشائرية ومناطقية، الانفصام بين الاستهلاك التكنولوجي والخوف من الحداثة، سلطان الفكر السحري، اقتصاد الريع... وكلها مسائل تملك فيها اسرائيل تفوقاً نوعياً، وان يكن مجتمعها بعيداً عن صورة الانسجام الذي تطلّع اليها منظّرو الصهيونية.

ومع ذلك، تبقى لاسرائيل نقطة ضعفها، واسمها هو "الفلسطيني". ليس في الامر اي قدرية، بل على العكس مفارقة. ففي وقوع مأساة فلسطين، كان الفلسطينيون مجرد تفصيل، بل تفصيلاً غائباً ("ارض بلا شعب"، قالت الدعاية). وكان يمكن هذا "التفصيل" ان يبقى تفصيلاً، وخصوصاً ان مسار الصراع ابقاه، رغم الحروب العربية – الفلسطينية والتفرد القطري، عربياً – اسرائيلياً. هنا، تنكشف الاهمية القصوى لتبلور الشخصية الوطنية الفلسطينية : تبلور "سلبي" بداية مع تشكل صورة "اللاجىء" واختزانها لذاكرة الارض وتطلعات الهوية، ثم تبلور "ايجابي" مع قيام حركة "فتح" والثورة الفلسطينية المعاصرة مجسدة توق العودة، وصولاً الى استعادة بعض الجغرافيا مع اقامة كيان سياسي على ارض فلسطين مهما كان محدوداً او منقوصاً.

النهار
الاثنين ٢٠ كانون الاول ١٩٩٩

في نمو "التفصيل" الفلسطيني جوهراً للصراع العربي – الاسرائيلي، فأداة تثوير للفلسطينيين وسائر عرب المشرق ولو بعكس التيار، فسبيل استعصاء يحول دون النسيان الجيوسياسي، فبنية تقارب الدولة وتبعث الاسم الممحو، رواية اخرى لقرن من الصراع.

ولعل هذا البقاء الفلسطيني هو احد الخبرين السعيدين الوحيدين في ختام القرن الاول من الصراع. اما الثاني، فان العرب العاجزين انتهوا الى الاقتناع بضرورة الانتقال بالصراع من طور الى طور، بعدما كلّوا من خطاب القوة المفتقدة الى اي قوة. هكذا، ربما، نجد غداً حرية استخدام وسائل اكثر فاعلية، واقل كلفة لنا، في مواجهة تحدّ لا هروب منه.

ولا ريب ان الفاعلية القصوى ستكون في تزاوج الجغرافيتين اللتين تجعلان من الدولة الاسرائيلية حالة غير طبيعية : جغرافيا فلسطين الآخذة في التشكل راسمة ثقوب الهوية الاسرائيلية، وجغرافيا الشام المستقوية بثباتها بين مركزي وادي النيل وما بين النهرين.

سمير قصير

النهار
الاثنين ٢٠ كانون الاول ١٩٩٩

Id-Reference	**00-Pr-000437**	
Media	**(Support)**	HC
Title		حرب المئتي سنة
Subtitle		مواجهة لا هروب منها
Section		دليل النهار
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		١٩٩٩/١٢/٢٠ 20/12/1999
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	ونستون.تشرشل – مصر.محمد.علي – ابراهيم.باشا – جمال.عبد.ناصر – جنرال.ديغول – ديفيد.بن.غوريون – كميل.منصور – حسني.مبارك – انور.سادات
	Locations	فلسطين – اسرائيل – لبنان – سوريا – أردن – بريطانيا – عراق – ولايات.متحدة – فرنسا – روسيا – مصر – كويت
	Dates	١٩٤٨ – ١٩٧٣ – ١٩٢٢ – ١٩١٢ – ١٩٦٧ – ١٩٧٠ – ١٩٨١
	Themes	عرب – اسرائيل – صراع.عربي.اسرائيلي – نكبة.١٩٤٨ – مشروع.صهيوني – حروب.صليبية – ثورة.صناعية – ثورة.رأسمالية – قضية.فلسطين – حرب.عبور.١٩٧٣ – انتداب.بريطاني – صهيونية.بروتستانتية – اتفاق.(سايكس.بيكو) – اتفاق.(غراي.كامبون) – حرب.سويس – حرب.فيتنام – علاقات.فرنسية.اسرائيلية – علاقات.اميركية.اسرائيلية – حرب.خليج – اجتياح.كويت – حركة.فتح – وعد.بلفور
Subject		